من المعروف أن نجيب محفوظ دَرَسَ الفلسفة بقسم الفلسفة بكُلِّية آداب جامعة القاهرة ، وتخرّج فى هذه الكلية ليبدأ مشواره الوظيفى والأدبى . . وعلى الرغم من أنه أصبح أديبًا روائيًّا فى المقام الأول ، إلا أنه لم يَكُفّ قَطّ عن كتابة المقالات ، سواء جاءت طويلة ، أم قصيرة، أو قصيرة جدًّا . . كما لم يَكُفّ عن الإدلاء بأحاديث وحوارات لا تقل قيمةً عن تلك المقالات والروايات .

وبحكم تخرّجه فى قسم الفلسفة ودراسته إياها ، فقد بدأ بكتابة المقالات الفلسفية والأدبية ، ولكنه لم يحرص قَطّ على جمعها فى كتبٍ مثلما كان يجمع القصص القصيرة !

ولقد جاهدت « الدار المصرية اللبنانية » فى سبيل جمع مقالات نجيب محفوظ القصيرة التى كان ينشرها بجريدة « الأهرام » طوال السنوات التى سبقت

حصوله على جائزة نوبل فى الآداب لعام ١٩٨٨، وطوال السنوات الخمس التى تلت ، حتى أصيب بالطعنة الغادرة ولم يَعُدْ بمقدوره الكتابة . . وهكذا صدرت هذه المقالات فى ثمانية كتب حملت عناوين مختلفة ومعبّرة عن المحتوى الذى شرفتُ بتصنيفه وترتيبه وإعداده للنشر ، وجاءت تلك العناوين على النحو التالى :

(حول العدل والعدالة)، (حول التديّن والتطرف)، (حول العرب والعروبة) ، (حول العلم والعمل) ، (حول الثقافة والتعليم)، (حول التحرر والتقدم) ، (حول الشباب والحرية) ، (حول الدين والديمقراطية) . . والطريف أن هذه المجموعة المتنوعة غدت تحمل عنوانًا موحدًا جعل منها (حوليّات نجيب محفوظ) ، والتى نستكملها بـ (حولية) نادرة ، أطلقنا عليها عنوان (حول الأدب والفلسفة) . . وهى مقالات نادرة ، لأنها تمثل كتابات نجيب محفوظ الأولى التى خَطَّها قلمُه قبل أن يخطو نحو الكتابة الروائية . . إبداعه الحقيقى وسبب مجده الرفيع. وهى مقالات نادرة أيضًا ، لأننا بحثنا عنها فى دار الكتب المصرية

بحثًا مضنيًا حتى حصلنا عليها وتم تصنيفها وترتيبها وإعدادها للنشر.

ولقد أملى علينا الأستاذ نجيب مقدمةً قصيرةً بعد أن تَعَذَّرَ عليه كتابتها بخط يده كما اعتاد من قبل بالنسبة لـ (الحوليات) السابقة . . وهكذا تتهيأ الحولية التاسعة للصدور .

وإذ نتصفح هذه المقالات المبكرة لكاتبنا الكبير ، نلاحظ أنه كان مُحِبًّا للفلسفة ، متعمقًا فيها . وكان طويلَ النَّفَس فيما يكتب ، على العكس من مقالاته التى تلت تَبَـوُّءَهُ لمكانته الرفيعة فى الرواية بصفةٍ خاصة ، والقصة القصيرة على نحوٍ مّا . ولكن الملاحَظ أيضًا أنه لم ينغمس فى الفلسفة وحدها ، بل تَطَـرَّقَ إلى الأدب بشِقَّـيْه : العالمى والمحلى ، مما يدل على تطلّعه منذ البداية للانخراط فى عالم الأدب . . كاتبًا فى البداية ، ثم مبدعًا بعد ذلك . . وعندما تفرغ للإبداع ، ظهر تأثّره واضحًا جليًّا بالفكر الفلسفى الـذى ضَمَّنَـهُ أعمالَـه ، وكذلك تأثّـره بأدبـاء العالم البارزين الذين شَكَّلُوا توجهـه المنهجى . . فهو ينتمى بالتـأكيد للمدرســة الطبيعيــة الواقعيــة التى قادهـا

ـ بالترتيب ـ أدباء فرنسا: إميل زولا ، وجوستاف فلوبير ، وهنرى بلزاك . . وذلك على الرغم من أن اللغة الثانية لنجيب محفوظ هى الإنجليزية وليست الفرنسية!

لن نتحدث هنا عن نجيب محفوظ: حياته وأعماله، فالمعلومات الكاملة سنجدها منشورةً فى نهاية الكتاب. . ولكن الحديث عن نجيب محفوظ: الإنسان والأفعال، هو الذى يحتاج إلى إشارة مركّزة ومكثّفة ، لأنه نموذج فريد لا يتكرر!

صفاته . . وأبرزها التواضع الحقيقى وليس المصطنع ، ونظامه الثابت الذى لا يتغير فى العادات والسلوك ، وتسامحه حتى مع مَن يناصبه العداء أو يهاجمه نقديًّا وشخصيًّا ، وهدوؤه أمام العواصف والمآزق ، وحبه للوطن أرضًا وبَشَرًا ، واحترامه للجميع، وعشقه للفن المصرى الأصيل ، وتقديره لمن سبقوه من الأدباء والمفكرين ، وإخلاصه لزملاء الكفاح والقلم ، وتشجيعه للأجيال الجديدة دون تفرقة . . كل هذا جعل من نجيب محفوظ معلّمًا وأستاذًا! وأبًا وأخًا وصديقًا وصدوقًا . . .

تحية للأستاذ الكبير الذى سنستمتع بكلماته الأولى ونستنير بفكره ؛ فنستشعر نبض الحياة ، ونستكشف من أسرار الكون ما يدعونا للتطلع إلى المزيد .

فتحى العشـرى

obeikandl.com

obeikandl.com

احتضار معتقدات .. وتَوَلُّد معتقدات *

قامت المدنيات القديمة على معتقدات قوية ـ كما يقول «جوستاف لوبون » ـ سواءً كانت هذه المعتقدات دينية أو سياسية ؛ وبقيت هذه المدنيات قوية الدعائم متينة البنيان ، لأن المعتقدات التى تأسست عليها كانت متأصلة فى النفوس وفى مأمن من البحث والنقد اللذيْن يولدان الشك والريبة . وهذه المعتقدات قد تضمنت أخطاءً وخرافاتٍ لا يقبلها العقل بحال من الأحوال وإن اطمأنت إليها المشاعر فى أغلب الأحوال . وإذا خالط الشكُّ النفوسَ فى معتقدٍ مّا ، وكان هذا المعتقد أساسًا لمدنيته ، فقد آن الأوان لانهيارهما معًا . ونحن نشاهد ـ فى عصرنا هذا ـ أن جميع العقائد القديمة التى اطمأنت لها النفوس أجيالاً طويلة أخذت تتزعزع رويدًا رويدًا ، وتتزحزح عن مكانتها الأولى شيئًا فشيئًا .

والإنسان بطبعه ـ وبحكم العاطفة الدينية التى تملأ جوانب نفسه ـ يتشوف دائمًا لمعتقد يسلم إليه نفسه وإيمانه ، ولهذا نجده يعتنق المذاهب الاجتماعية والآراء السياسية ، ويبذل فى سبيلها من نفسه ما كان يبذل سلفه القديم فى سبيل الله أو قيصر . غير أن رأيًا من هذه الآراء ،

* المجلة الجديدة ، أكتوبر ١٩٣٠ م .

أو مذهبًا من هذه المذاهب ، لم يستقر بعدُ فى النفوس كما استقرت الآراء والمذاهب القديمة ، ولم ينطبع بذلك الطابع الدينى المقدس الذى يجعل بحث المذهب أو نقده كفرًا وخيانة . . فعصرنا فترةٌ بين اعتقاداتٍ ومعتنقاتٍ تحتضر وتفنى ، وبين آراء ومذاهب أخرى لم تستقر استقرارًا تامًّا وتأخذ مكانتها من النفوس ، فهو عصر اضطراب وتردد لا مثيل لهما فى التاريخ . . . اضطراب فى الآراء التى تتصارع للحياة والاستقرار والفوز ، وتردد بين مذاهب يناقض بعضُها البعضَ الآخر ، ويحاول القوى منها محو الضعيف المتداعى . وهكذا فنحن نشاهد أنه لا يظهر كتابٌ يدعو لعقيدة من العقائد حتى يظهر آخر يسخف هذه العقيدة وينحى عليها أشد الإنحاء ، ثم لا يلبث أن يؤلَّف ثالثٌ يتوسط الرأيين المتناقضيْن برأيٍ ثالث . . . وهكذا .

وليس ثمة شك فى أن استقرار الحياة وثبات المدنيات وسير الأمور فى مجراها الطبيعى خير من ذلك الاضطراب المروع ، ولكننا مع ذلك لا نبتئس بقروب زوال المعتقدات البالية ، ولا ندعو المفكرين إلى الكف عن بحثها ونقدها ؛ لتحتفظ بما لها من القدسية والمهابة ، ولتضمن لنا حياة هادئة وديعة ؛ ذلك لأننا نعتقد بأن هذا الاضطراب نتيجةٌ لا حيد عنها تُحدثها الطبيعة لتقدم العمران ، كما نعتقد أنه مظهر للتقدم العقلى ، ومقياس صادق للتطور الذى يطرأ عليه بين حين وآخر . فالعقل يهدم المعتنقات القديمة لأنه أصبح لا يسيغها ، أو لأنه ارتقى لدرجة أصبح

نقده لهذه المعتنقات فيها ضرورةً لازمةً لا دخل فيها للاختيار والتدبر . ومثله فى ذلك مثل الشيب الذى يعلو الرأس إذا ما كبر الإنسان . . وعليه ، فمناهضة الحركات التجديدية إنما هى مناهضة لإحدى سنن الطبيعة التى لا تُنَاهَض ولا تُغْلَب

ونحن أيضًا لا نتشاءم من تزعزع الإيمان بالمعتقدات القديمة ، ولا نميل إلى التسليم بأن عاقبة ذلك خراب العالم كما يدّعى كثير من المتشائمين . وكل ما فى الأمر إنْ هو إلا ترميم فى الأساس ، أو هو بنيانُ أساسٍ جديدٍ متينٍ لا نتسرع فى تشييده ، بل نترك ذلك للتطور والزمان ، وهما كفيلان بأن يحققا لنا ما نحلم به من غير أن نلجأ إلى الثورات التى تفوز بالمرغوب ، وتقهر الزمان فى الظاهر بينا هى فى الحقيقة والواقع ليست إلا تخريبًا واضطرابًا لا يسفران إلا عن تقهقر ورجوع إلى نقطة الابتداء .

وهذه العجالة فى وصف ما طرأ من الاضطراب على معتقداتنا تفسر لنا بعض التفسير ذلك التطور الهائل الذى نلحظه فى الآداب . .

ففى الزمن الماضى ، يومَ كانت الاعتقادات القديمة سائدةً مستحوذةً على المشاعر والنفوس ، يتأثر بها الخاصة كما يتأثر بها العامة . . كان الأدباء ـ بكتبهم وقصصهم ـ يعبّرون أصدق تعبير عما يتأثرون به من المعتقدات ، ويكفيك لتقتنع بذلك أن تجيل نظرة فى تلك المجلدات الضخمة التى كُتبت عقب ظهور الإسلام لتشرح نصوصه الدينية ، أو

لتجمع أحاديث النبى وتفسرها . . بل يكفيك أن تقرأ دواوين بعض الشعراء ممن لم يكن لهم هَمٌّ إلا نظم الحِكَم الدينية أو مدح النبى أو التغزل الإلهى .

والأمر لا يختلف فى الدين عنه فى الاجتماع والسياسة ، فكثيرًا ما أُلِّفَت الكتب والقصص لتأييد مذهب أو نصر مبدأ أو بث دعوة . . فلما أخذت الاعتقادات القديمة فى الفناء ، وأخذ العقل يسلط نوره عليها فيُظهر من عيوبها ويكشف عن سوءاتها التى عاشت ورسخت فى النفوس أجيالاً كحقائق لا مراء فيها ولا جدال ، ولما حل الشك محل الإيمان ؛ تأثر الأدباء بذلك التطور ـ الذين هم من أكبر دعاته ومؤيديه ـ بما يؤلفون من كتب تحمل على القديم تحاول أن تأتى عليه وتخلصنا من استعباده ورقه . وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت بين أيدينا مجموعة وافية من الكتب والقصص تبعث قراءتها على الشك فى الماضى بآرائه ومعتقداته ، أو تدعو لمذهب جديد كالاشتراكية والعالمية وغيرهما .

والذى يجدر بنا أن نلاحظه هو أن جميع الأديان الجديدة ترمى إلى اتحاد العالم وإزالة الفروق الوطنية ، وهى تتفق فى ذلك مع الأديان القديمة مثل المسيحية والإسلام ، ولكنها تزيد على ذلك فيدعو بعضها إلى إزالة فوارق الطبقات المادية .

ولو أننا أردنا أن نتنبأ بالمذهب الذى سوف يكون له الفوز من بين المذاهب لقلنا ـ أو لأحببنا أن نقول ـ بأنه مذهب الاشتراكية . . وذلك

لأنها تستهوى بوعودها أفئدة الساخطين المتذمرين والفقراء ،و هم السواد الأعظم من سكان العالم . . ولأنها تسد النقص الملموس الناتج عن التقدم العلمى وظهور المخترعات والآلات ، ولأنها وَسَطٌ بين نظامين يتأفف منهما المتدينون ، وهما الشيوعية والفردية .وقد أخذت منهما حسناتهما ونفضت عنها نقائصهما الظاهرة .

وهنالك أسباب كثيرة أخرى تجعلنا نكاد نوقن بأن المستقبل للاشتراكية ، ولكن بحثها الآن لا يعنينا .

ثم لا يفوتنا أن نذكر أن سعادة الاشتراكية الموعودة دنيويةٌ تُنال فى هذه الحياة لا فى حياة أخرى ، وأنها لذلك قد تعجز ـ لسبب من الأسباب ـ عن إنجاز وعودها تامة كاملة . . وعليه فينفضّ من حولها أعظم مؤيديها حماسةً ونشاطًا . ولكنّا لا ننسى كذلك أن الكمال فى الدنيا ضربٌ من المستحيلات ، وأنه وإن كانت الاشتراكية لن توصّلنا لحالة من النعيم لا مطلب خلفها ، إلا أنها تستطيع أن تنتشلنا من حالتنا هذه إلى خيرٍ منها ، وليست الاشتراكية نهايةَ ما يمكن أن يتطور إليه النظام الاجتماعى ، وعليه فالتطلع للأحسن سيدفعنا دائمًا للتنقيب عما فيه سعادتنا ورفاهيتنا .

وجملة ما أريد أن أقوله عن هذا الأمر إنه لو خاب أملنا فى الاشتراكية بعض الخيبة ، فليس معنى ذلك أننا نرغب فى الرجوع إلى حالتنا الأولى السيئة ـ الحالة الحاضرة ـ إنما يجعلنا ذلك نزيد إيمانًا بالتطور الذى هو الخالق الوحيد للاشتراكية وغيرها من الآراء والعقائد .

obeikandl.com

المرأة والوظائف العامة *

إن اليوم الذى نرى فيه النساء « يشغلن وظائف الحكومة بنسبةٍ نستطيع أن نقول معها إن المرأة قد تساوت بالرجل فى حق شغل الوظائف الحكومية » سوف يكون بعيدًا . ولكى نعرف النتائج التى تترتب على إعطاء المرأة حق شغل الوظائف العامة ، ينبغى أن نفرض وجود جماعةٍ ، السوادُ الأعظم من نسائها إما موظفات أو فتيات يتعلمن لِيَكُنّ موظفات .

فأول نتيجة أنه بتسليمنا أن المرأة جديرةٌ بأشغال الوظيفة مثل الرجل ، نكون قد اعترفنا بمَطْلَبٍ من أهم مطالبها ؛ ثم إنه إذا وُجِدَ من النساء الكاتبة والطبيبة والمهندسة والقاضية ، فسوف توجد النائبة والوزيرة . وينبغى هنا أن يلاحظ القارئ أننا نتكلم عما سوف يكون بعدَ زمنٍ بعيد، بل قد يكون بعيدًا جدًّا . . أى حين يشترك معظم النساء فى الأعمال ، وخاصةً وظائف الحكومة حتى لا نخرج عن موضوع السؤال .

وثانى نتيجة : هو ما يطرأ على الأسرة من التغير والتطور .

يتغير مركز الفتاة الموظفة فى الأسرة التى هى أحد أفرادها ، فيصبح

* السياسة الأسبوعية ، ١١ من أكتوبر سنة ١٩٣٠م .

عزيزًا محترما ، وتصبح الفتاةُ تامةَ الاستقلال فيما يقرر مصيرها فى الحياة ؛ وهى فى هذه الحالة مصدر رزق للأسرة بعد أن كانت فيما مضى كَلاًّ على أبيها .

وتتغير نظرتها للزواج ، فلا يكون ـ حينئذٍ ـ كلَّ غرض لها فى الحياة ، ويعقب ذلك أنها لا تتزوج أىَّ طالبِ زواجٍ كما تُباع السلعة الرخيصة لأول مشترى ، بل تتهيأ لها الفرصة فى اختيار الرجل المناسب التى ترى فيه الجدارة بها .

ثم إن سعادة الزوجين فى هذه الحالة تتعرض دائمًا لما يكدّر صفوها ، فقد يحدث أن تُنقل الزوجة إلى بلدٍ فى الشمال ، ويُنقل الزوج إلى أخرى فى الجنوب ؛ وهكذا يتحتم عليهما الفراق . وفى هذا الجو المظلم يجد الزوجان آلافَ الأسباب المبرِّرة للطلاق والانفصال ، ويفقد الزواج ماله من قداسة ، ويصبح عهده من الاستهانة والبساطة بحيث يمكن حنثه كما لو كان ميعادَ لقاءٍ لا أهمية له .

وينبغى أن نشير هنا إلى مسألةٍ يشكو منها كثيرٌ من البلاد الـمُتَمَدْينَة ، وهى مسألة العاطلين ؛ والنتيجة التى لا شك فيها لمزاحمة الفتيات للفتيان فى سلك الوظائف ، هو ازدياد حَمَلَة الشهادات الذين لا عمل لهم ، وهم ـ لتربيتهم النظرية ـ عاجزون عن القيام بأى عمل من الأعمال الحرة ، ولحفظهم لمختلف العلوم من أشد الناس غرورًا ؛ ولقد يُخشى أن يُعادوا المجتمع ويثوروا على القوانين .

تطور الفلسفة إلى ما قبل عهد سقراط *

كان هَمُّ الإنسان فى عهده الأول مقصورًا على الأشياء المحيطة به، والتى يرجو من ورائها فائدةً مّا لحياته ، وكانت مهارته تتجلى فى التقليد والمحاكاة ، والرقص والصياح ، ولكن مرت به أجيال طويلة تعلم فى أثنائها لغةً يتخاطب بها ؛ ولما كانت اللغة أداة التفكير ، فقد ابتدأ يفكر تفكيرًا هو أقرب للتأملات والأوهام فَسَّرَ به حياته ومماته ، ومخاوفه الكثيرة التى يراها فى الوحوش الكاسرة ، ويسمعها فى الرعود والصواعق، والتى تزعجه فى أحلامه ؛ وفى هذه التفسيرات البدائية نجد بذرة الفلسفة الأولى التى نمت فى العصور المختلفة ، وتدرجت تدريجًا مستمرًا يبين لنا الأدوار المختلفة التى مر بها التفكير الإنسانى؛ فتاريخ الفلسفة فى الواقع هو تاريخ العقل البشرى نفسه .

ونحن نتكلم الآن عن الفلسفة الإغريقية التى سبقت عهد سقراط ، لأنها توضح نوعًا من التفكير يبتدئ ساذجًا بسيطًا ، ثم يعلو شيئًا فشيئًا إلى التفكير العلمى المبنى على القواعد والبراهين ؛ وليس مهمًّا لدينا معرفة ما إذا كانت هذه الفلسفة قد جاءت عبقريةً دون أن تتأثر بتيار

* مجلة المعرفة ، أغسطس ١٩٣١ م .

أجنبى أم أنها تكملة لفلسفة أخرى ظهرت فى بلد آخر كفارس مثلا ، لأن العقلية الإنسانية فى تطورها تصعد درجات واحدة ، وعليه فالفلسفة التى ندرسها الآن يصح أن نعتبرها أنموذجًا للتفكير فى عهده الأول ، وكيفية تدرّجه خطواتٍ نحو التفكير المنطقى الصحيح .

وإن الأمر الذى شغل بال المفكرين الأُوَل ، هو أصل الكون ، فنفهم من ذلك أن الطبيعة بمظاهرها المختلفة هى التى أثارت تفكيرهم من مكمنه ، وتصوروا فى بادئ الأمر أن السبب الأول للعالم شىء مادى محسوس ، وهذه هى نظرية الفلاسفة الأيونيين ؛ وقد قال فيلسوفهم «تاليس » إن الماء أصل كل شىء، « تخرج منه جميع الأشياء وإليه تعود»؛ وحاول أن يبنى نظريته على قواعد علمية ، وهذه المحاولة هى التى وضعته فى مكانته من تاريخ الفلسفة ، واختلف معه غيره من فلاسفة الأيونيين ، ولكن اختلافهم اقتصر على نوع المادة التى فرضوها أصلاً للكون ، واتفقوا معه فى أنها مادة محسوسة ، ولهذا فاختلافهم صغير فى عين من يبحث عن تطوير العقلية الإنسانية وينظر إليها كأنها كلٌّ عام .

إلا أننا نلاحظ أن مذهب الأيونيين يحاول التخلص شيئًا مّا من المادة المحسوسة ، فلقد فسر الفيلسوف أناكسمندر أصل العالم بأنه « مادة » أيضًا ، إلا أنها خالدة غير محدودة ولا يمكن تعريفها .

ونرى محاولة أخرى إلا أنها أجرأ من سابقتها فى مذهب البيثاجوريين (نسبةً إلى فيلسوفهم الأكبر بيثاجوراس) ، وقد قالوا إنه لا يمكن اتخاذه أصلاً ماديًّا محسوسًا للكون ، وإنما يصح أن نصدق أن شيئًا أصلٌ للعالم بعلاقاته المختلفة ومقاييسه ، فهذه النظرية الجديدة لا تحفل بالمادة ذاتها وإنما بشكلها ، ولا تأبه بالماء والهواء وإنما بالعلاقات والمقاييس . ولما كانت علاقات الأشياء ـ كالامتداد والحجم والشكل والمسافات ـ يعبر عنها بالأعداد ، ولما كان لا يمكن أن يوجد شىء فى الوجود عديم الشكل أو مستحيل القياس ، نتج أن كل شىء يدخل تحت العد ، وإذًا فيصح اعتبار العدد أصلاً عامًّا لجميع الأشياء .

ولكن هل هذا الأصل الجديد مادى أم معنوى ؟ وليس عندنا جواب صريح . ومحتمل جدًّا أن يكونوا قد انقسموا فى فهمه فريقين .

هذه هى النظرية التى تُنسب إلى بيثاجوراس ، وتسمى أحيانًا «نظرية العدد» .

ثم ظهر بعدهم على مسرح الفلسفة الإلييون (نسبة إلى المدينة الإغريقية الكبرى إليا) ، وقد انتهت إليهم فلسفة البيثاجوريين التى وصفنا . ونلاحظ أنهم كانوا يعترفون بالصلة التى بين أصل الكون فى نظرهم ، والزمان والمكان ، لأنه لا يمكن قياس شىء ليس له علاقة بالمكان والزمان . أما هؤلاء الإلييون فقد أنكروا وجود أية صلة بين أصل

الكون الذى ابتكروه ، وبين الزمان والمكان ؛ ذلك لأنهم جردوه عن المادة تجريدًا كليًّا ، وقالوا إنه لا يمكن أن يدرك بالحواس ، وإنما هو يفهم بالعقل ، وأطلقوا عليه « الكائن المجرد » .

ومن أهم فلاسفة هذه المدرسة كسينوفاتيس وبارمينيدس ، وزينون ، وهم يتفقون فى المبدأ العام مع وجود اختلافات كثيرة فى فلسفتهم ، ولسنا هنا حيال التكلم عنهم .

ننتقل الآن من الفلسفة التحليلية إلى الفلسفة التركيبية ، ولقد رأينا كيف جرد الإلييون كائنهم المجرد عن المادة والزمان والمكان ، ثم إنهم أنكروا الطبيعة المادية وقالوا عن الكون المحسوس إنه مظهر كاذب . إلا أنهم وجدوا أنفسهم مضطرين للتكلم عن هذا الكون الظاهر ؛ وهنا نشأت مسألة فلسفية معقدة لم نجد لها حلاً ، وهى أنه لم تكن توجد فى تلك الفلسفة أية علاقة بين « الكائن المجرد » والكائن المحسوس ؛ فلما جاء هيرقليطس قرر أن أصل الكون إنما هو من اتحاد الكائن المجرد بالكائن المحسوس الذى نراه ونعيش فى جزء منه ، ثم قال إنه من طبيعة الأشياء أن تكون فى تغير مستمر لا يتوقف ؛ وقد نشأت مسألة فلسفية جديدة بعد هيرقليطس وهى : ما سبب هذا الاتحاد ؟ وكيف تكوّن الكائن المحسوس ؟ وقد قرر هيرقليطس تفسيراته كأنها مأخوذة من التجاريب . أما أمبيرولكيس فقد قال إن المادة أصل الكائن ، وإن القوة أصل الحركة .

وأدرك اليأس الفلاسفة من إيجاد أسباب يعللون بها وجود الكائن المادى ، وأخيرًا اهتدى أنكساجوراس إلى أن « العقل » هو الذى كَوَّنَ العالم وأوجد له نظامه ، غير أنه لم يكن سوى طبيعى كأسلافه . ولهذا لم يفطن إلى أن العقل شىء فوق الطبيعة المادية . ولكن مهما يكن من الأمر، فقد وجد من يميز بين العقل والطبيعة ، ومن يعترف بأن العقل أرقى منها ، والفضل فى ذلك يعود إلى السوفسطائيين .

والسوفسطائيون مدرسة قامت على الشك فى الحواس ، وما تأتيه لنا من المعلومات ، وكانوا يحملون على الحقائق التى وصلت إلينا عن طريق الحواس أو تأثرنا فى معرفتها بالتقليد . وعلى العموم فقد أتوا بمبدأ البحث الموضوعى .

هذه عجالة موجزة عن تطور الفلسفة التى سبقت عهد سقراط ؛ والذى نحب أن يلاحظه القارئ هو تخلص العقل البشرى شيئًا فشيئًا من المادة فى تفسيره لأصل الكون المادى الظاهر ، وسموّه إلى التفسيرات المعنوية التى لا تُدْرَك إلا بالعقل .

obeikandl.com